

غسان فواز روائى لبناني ترحب به باريس ."لو كتبت بالعربية لعجزت عن التعبير عن أمور كثيرة"

رلى الزين نشر في الحياة يوم 28 - 10 - 1998

أصدر غسّان فواز روايته الأولى باللغة الفرنسية عام 1996 تحت عنوان "الأنوات المتطايرة للحروب الخاسرة" دار سوي وعالجت في قرابة 500 صفحة موضوع الحرب اللبنانية في قصصها ومآسيها.

وقبل أيام صدرت روايته الثانية "تحت سماء الغرب" التي تعالج في 500 صفحة أيضاً ظواهر الحرب اللبنانية ولكن، خار- لبنا

استُقبلت الرواية الجديدة بحفاوة في وسط النقّاد الفرنسيين، وكتب أحدهم: ".. بعيداً من بيروت، لا يزال قتال بيروت ش والاستحالة في تذوّق نكهة الحياة الطبيعية الفاترة عندما ترافقنا بشغف مع الموت كانت بحاجة الى موهبة كبيرة كي تقولها وقالها غسان فواز بشخصيات قويّة، هائمة ومتصارعة تحت "سماء الغرب" وبلغة عفوية ومشغولة، وتفاصيل عدة ودقي مر والأفكار والمشاعر، الحب والجنون والوعي والهوى...

غسان فواز الذي يعيش في فرنسا منذ العام 1976 رافق الحرب اللبنانية كلياً في بدايتها، ثم تابعها من بعيد، من خلال الزي الصعوبات. أسّس في باريس دار نشر "سيكومور" التي استمرّت حتى عام 1984 ثم انتقل للعيش في منطقة نورماندي حيث معه:

لماذا البداية المتأخرة بالكتابة؟

- في الحقيقة، بدأت بالكتابة عام 1982 تحديداً خلال الهجوم الاسرائيلي على بيروت. لا أعرف إن كانت العلاقة بين الاثنين م الاخبار باستمرار. وفي أحد الأيام جلست وبدأت أكتب. كانت كتابة ذات طابع شخصي ولم يكن هدفي النشر، وقد يكون سبب ذلك عندي عقدة سلبية من الكتّاب إذ اكتشفت عندما انطلقت بدار النشر ان الكتّاب همّ أشخاص منغلقون على أنفسهم وليس عندهم ك كنت أفكّر بأنني قد اتفرّغ للكتابة في سنّ آخرى، ولكن تعرّضي لحادث سيارة خطير عام 1989 دفعني الى تفكير مختلف - بخا أنني لو اختفيت بعد الحادث لم يكن بقي مني شيء. وأصبح النشر تالياً حاجة شخصية. فعدت الى النصوص التي كنت كتبتها، أ أمر أساسي كنت أردّده دائما للكتّاب الذين كانوا ينشرون عندي بأن الكتابة هي إعادة كتابة أكثر ممّا هي كتابة أي أن الكتابة سارتر ان المرء يتكلم بلغته وإنما يكتب دائما بلغة أجنبية، وإن كانت اللغة ذاتها، لأن الكتابة تتطلّب مجهوداً آخر. وأخذت عملي وسنة 1993 أرسلت ما كتبته الى الناشرين. وأريد التحديد بأنني فعلت ذلك من دون أي استفادة من علاقاتي السابقة في عالم ا فترة. نُشر أول كتاب، وأُعتقد أن الاستمرار في الكتابة يصبح عند المرء سبب وجود. في السابق، كانت عندي أسباب سياسية هذه النواحي دفعني الى البحث عن سبب آخر.

الحرب اللبنانية ما زالت تشغلك وتحتل همومك منذ روايتك الأولى، وهي تحضر في روايتك الثانية على الرغم من أن أحداثها تج

- لأن الحرب، بالنسبة لي، لم تكن جحيماً. موضوعياً، الحرب جحيم والتعرّض للموت جحيم، ولكن إن تمكّن المرء أن ينجو منـ
وتخلق عند الانسان هياجاً داخلياً وتبرز نفسيته الثانية. تُظهر الحرب مشاكل العنف والتضامن ومشاكل الحب والكراهية بشـ
السلام. والحرب لها مثيلها على المستوى الشخصي عندما يؤدّي حب جارف بالانسان الى القتل أو الى الانتحار. وفي الحقيقة
لبنان بمقدار ما هي عن الحرب بشكل عام.
استفدت من حرب لبنان لأنني عشتها ولكن كل حرب عندها ناحية اجمالية وربما كونية اضافة الى خصوصياتها. ولكنني لا
أخذت الطابع الذي اخذته حرب لبنان ذلك أن الحرب بقيت مستمرة في قلب المدينة، في بيروت، على مدى عشرين سنة. إن نظر
دامت بضعة أشهر وفي فييتنام دامت الحرب طويلاً ولكنها لم تكن مركزّة في مدينة واحدة. أن يعيش الناس منغلقين على أنف
برأيي، وضعاً شخصياً ليس له مثيل في أي مكان آخر. إنها تجربة فريدة تبرز مظاهر إنسانية مهمّة للغاية. الكتاب الأول كان م
ما يحصل إذا خرج المرء من تلك الظواهر.

شخصيات الرواية الثانية نجت من الحرب، ولكن الحرب بقيت في دماغهم فراحوا يسيّرون الأمر الذي تعلّموه خلال الحرب
بقوانينه وعاداته. الكتاب الثاني ليس عن حرب لبنان بمقدار ما هو نقد للمجتمع اللاحربي. يأتي اليه شخص خارج من حرب
هذا المجتمع الذي يطمح اليه. عندما نصل الى الهدف، نصل الى مستوى واسع من الحرية او من الغنى أو من الرفاهية والأمن
هذا هو تناقض المجتمع الغربي. كأننا وصلنا الى آخر التاريخ وكأن الانسان مبرمج كي يعاني الصعوبات وينتصر عليها ولكنه،
ربما لأن هذا الانسان كان يحمل مأساة معيّنة، مأساة الحرب اللبنانية؟
- صحيح، إن هذه خصوصية الأشخاص الذين خرجوا من لبنان ولكنني أعتقد بأن الكتاب لم يتوقف عند هذه الناحية وحسب
الغربي سمح لهم بتوجيه نظرة نقدية الى هذا المجتمع، وأنا أتكلّم عن لبنانيين يتمتعون بمستوى ثقافي معيّن وبإمكانهم تقديم
والمجتمع الغربي بشكل عام من دون أن تكون من عين فعلاً شرقية. فيكتشفون مثلاً أن الوجه الآخر لهذا المجتمع المنظّم هو الـ
الذي يطرح هو هل أن الإنسان الغربي الذي توصّل الى درجة متقدمة من الحضارة سعيد؟ وهل هو أسعد من الإنسان الشرقي؟ فـ
من الايديولوجيات، مع انهيار القومية والشيوعية والاشتراكية، نكتشف أن الإنسان تحوّل، في الغرب على الأقل، الى مستهلـ
الذي كانت تتكلّم عنه الايديولوجية الغربية منذ عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية لم يبقَ موجوداً.

يركّز الكتاب على صعوبات الغرب ولكن من دون أي نظرة ايجابية تجاه الشرق، فتلك الصعوبات واضحة. وتبرز قصة الكتاب
الغرام لا يتفتّح في الغرب أكثر من الشرق. الاعتقاد السائد هو أن الشرق، بضغوطاته، يضع العراقيل أمام قصص الحبّ، ولكن
من نوع مختلف. والشخصيات، كلّما غاصت في الغرب غرقت وتفتتت وفي الختام ينتصر المجتمع عليها، إذا استثنينا المرأة. أ
تتكيّف بسهولة أكبر مع الوضع الغربي.
على كل حال، تحضر شخصية المرأة، رنا، وهي الشخصية الثالثة الرئيسية في روايتك الجديدة، حضوراً قاسياً فهي ستودي
لماذا هذه النظرة السلبية؟

- لا أعتقد أنها نظرة غير موضوعية. خلال ربع القرن الأخير، يبدو لي أن 80 في المئة من النساء - الشابات والجذّابات
الايديولوجي الغربي العام الذي يقيّم كل شيء على أساس التبادل. والمرأة في هذه الفترة من التاريخ لا تزال تحافظ على بعض
كانت موجودة عند الرجل. وهذا الوضع قد لا يستمّر. فعندما أفكر بالأجيال الجديدة أرى أن الشباب اليوم يتصرفون مع النساء
الى الجيل الذي أتكلّم عنه لا تزال تستفيد من وضعها كامرأة ومن نظرة الرجل اليها، وفي الوقت ذاته أصبح عندها جزء هائـ

والرجلان هما محمد المسلم وأونتل Untel المسيحي: هل هي المعادلة اللبنانية التي فرضت عليك اختيار الشخصيتين أم أنها الـ
- فكّرت كثيراً في هذا الموضوع، حتى أن اونتل كان في البداية مسلماً. ولكنني رأيت فيما بعد أنه قد يكون أكثر تعبيراً إن كان التأقلم الفعلي والدخول في قلب المجتمع الفرنسي. كانت فكرتي الاولى بأن يكون شخصا مسلماً درس عند اليسوعيين، وإنما صعوبات عدة في تعميق ذلك والتكلّم عن تاريخه عند اليسوعيين الخ... إنطلاقاً من تعقيدات الشخص، فضّلت اختيار شخصية مـ وقد وجد هدف لغوي. ومن جهة اخرى، أن تدخل المعادلة اللبنانية، لمَ لا؟ وهناك سبب آخر في اختيار شخصية مسيحية الذي ذاتية وقد خلط الناس مباشرة بين شخصية أونتل وشخصيتي.
إذا كان اسم محمد واضحاً ومعروفاً فإن اسم اونتل يثير بعض الالتباس. لماذا اشتققت هذا الاسم واخترته ليكون هو الرواي؟
- قُدّم اونتل في الكتاب بشكل نكتة، فعندما تسأله رنا ما هو اسمك، يقول لها فلان وعندما تسأله عن اسم عائلته يقول فلانة، وتر الطريقة تنطلق القصة، وأن أعطي في الأساس اسما كهذا الى شخص عنده علاقة مع نفسه مهيأة لعملية انفصام ليس غريباً. بـ معه بعد أن برز الانفصام في شخصيته وراح يغوص أكثر وأكثر في المجتمع الفرنسي ويبتعد عن نفسه ويتحوّل، في نهاية الـ وضع علامة استفهام عما هو هذا الكتاب، فأقول إنه يطرح مشكلة "من نحن" وهي مشكلة لا تظهر فعلياً في الشرق حيث الانـ الجّو العام السائد لا يطرح على نفسه اسئلة كهذه بل يطرحها عندما يجد نفسه وحيداً وكأنه معزول عن كل شيء. إمكان حصو اونتل يعبّر عن هذه المشكلة بالذات.

كتبت الحرب اللبنانية باللغة الفرنسية. ألا تشعر بأن اللغة الفرنسية يمكنها أن تصبح، على هذا لمستوى منفى؟
- كلا. أعتقد أن كل اللغات يمكنها ان تتكلم عن الحرب والشعور بالمنفى ليس موجوداً عندي. هناك سوء استعمال في الكلا الانسان وعندما تحصل عملية اقتلاع كما حصل مع الفلسطينيين أو مع التشيليين في مرحلة معيّنة. أما بالنسبة لنا، فلم يُفر الحقيقي، في نهاية الأمر، هو في لبنان . فالمنفى ليس أرضاً بل بشر وحال الانسان مع نفسه.
أما بالنسبة للناحية اللغوية، ولماذا يكتب المرء بالعربية أو بالفرنسية فهذا موضوع آخر وقد أخترت الفرنسية لأنني أعتقد، فعـ هذا النوع باللغة العربية لكنت واجهت مشكلة الرقابة الذاتية ولما كنت استطعت ان أكتب مقاطع عدة. الكتّاب بالعربية يفكرّون د بالعربية، بخاصة تلك التي ذات طابع سياسي أو جنسي أو حتى عنفي.
هل تكون، مقاربة الموضوع مختلفة إذاً عندما يكتب المرء بالعربية؟
- طبعاً، حتى وإن لم يكن السبب موضوعياً بل كان سبباً فكرياً، اضافة الى أن النشر باللغة العربية لا يشكّل ضمانة بأن الكـ العربي. إذا كانت الضمانة موجودة، أعتقد بأنني كنت وضعت الجهد من أجل استعادة المقدرة من جديد للغوص في كتابة أدبية ذلك؟ أتابع عمليات النشر.

ففي لبنان مثلاً تطبع الكتب بألف وألفي نسخة والصعوبات كثيرة أمام اجتياز الكتاب الحدود، كما أن الترجمات لبعض الكتب ومبيعاتها تساوي الكتب التي توضع بالعربية. لم تعد الكتابة باللغة العربية ضمانة، وهذه مشكلة حقيقية على المستوى الثقافي الصعوبات، يبرز جيل كامل من الكتّاب العرب ينشرون اعمالاً جيّدة ومهمّة.
وحين تكتب الحرب اللبنانية وتروي قصصها ومآسيها بالفرنسية فالأمر هو أنك تتوجه الى قارىء فرنسي وأجنبي: هل تضع هذ
- كلا. كما قلت لك، عندما بدأت بالكتابة بدأتها لنفسي وليس بهدف النشر. وربّما إن كنت أفكّر بالقارىء لكنت كتبت بطريقة أ تتطلّب تركيزا أفتقده الناس، حتى في الغرب. المطلوب اليوم هو كتاب سريع وقصير، تنتهي القراءة منه خلال سهرة، ذلك أصبحت شديدة. أما كتبي فكبيرة نسبياً وتستدعي جهداً معيّناً، ولكنني أعتقد أن الكتاب يجد في نهاية الامر قارئه إذا كان المؤلف
وبالنسبة لعالمك الروائي، هل هو عالم مركّب كليا أم أنه يحتوي على بعض التجارب الشخصية التي تتداخل فيه؟

أعمل على كتابة روايات تاريخية بل انطلق من أشياء حاضرة وحقيقية بهدف الوصول الى تصوّرات انسانية وشاملة. أفضل ه هي مواجهة الواقع باستمرار حتى وإن كنت أحياناً أقوم بشطحات مقصودة. استعمل شخصيات الاصدقاء كثيراً وعلى الرغم من ذلك، انطلق منهم كي يتحوّلوا ويأخذوا دورهم في الرواية. أعتقد أن هدف الرواية ليس التسلية فقط، وإنما إبراز الواقع بطريقة يفكّر وينظر الى حياته نظرة اخرى.

كتب أحد النقّاد الفرنسيين عن روايتك الجديدة أن "الرواية باللغة الفرنسية أصبحت تعدّ كاتباً إضافياً"، وكأنه يعتبر بأن هذه ال كاتب فرنكوفوني؟

ـ كلا، لا أعتقد أن هذا ما أراد أن يقوله، ولذلك لم يستعمل كلمة فرنكوفوني. فهم يقولون كاتب باللغة الفرنسية او كاتب باللغة ا بأي موضوع له علاقة بالفرنكوفونية على الرغم من أنني لم أعد اعتبرها سلبية كما في السابق. أصبح دخول اللغات الا الفرنكوفونية تساعد في مكافحة الانغلاق الذي تحاول بعض الجماعات ان تفرضه، والجهود التي يقوم بها الفرنسيون اليوم ت بالنسبة لعبارة كتّاب فرنسيون، فأعتقد أن ليس لها معنى وليست الهوية هي التي تصنع الكاتب. يوجد كتّاب باللغة الفرنسية ك رشدي، على سبيل المثال، ليس كاتبا انكلوفونيا بل كاتب باللغة الانكليزية. وكوني لم اطلب الجنسية الفرنسية خلال اقامتي الط للاستعمال.

ومن جهة اخرى، تحتوي كلمة فرنكوفوني على phonie أي اللفظ، وأنا أتكلم العربية أكثر من الفرنسية. لا أقول بأن عندي مو لا اعتبر نفسي فرنكوفونيا ولا يهمّني الموضوع ابدا. وفي الحقيقة، إن كان بإمكاني ان اكتب باللغة الانكليزية لكنت فعلت ذلك.

لماذا؟

ـ لأنني اجدها لغة قابلة اكثر للرواية الحديثة التي اتعاطى معها في حين أن اللغة الفرنسية أفضل للرواية الكلاسيكية. كما ان ال من القرّاء.

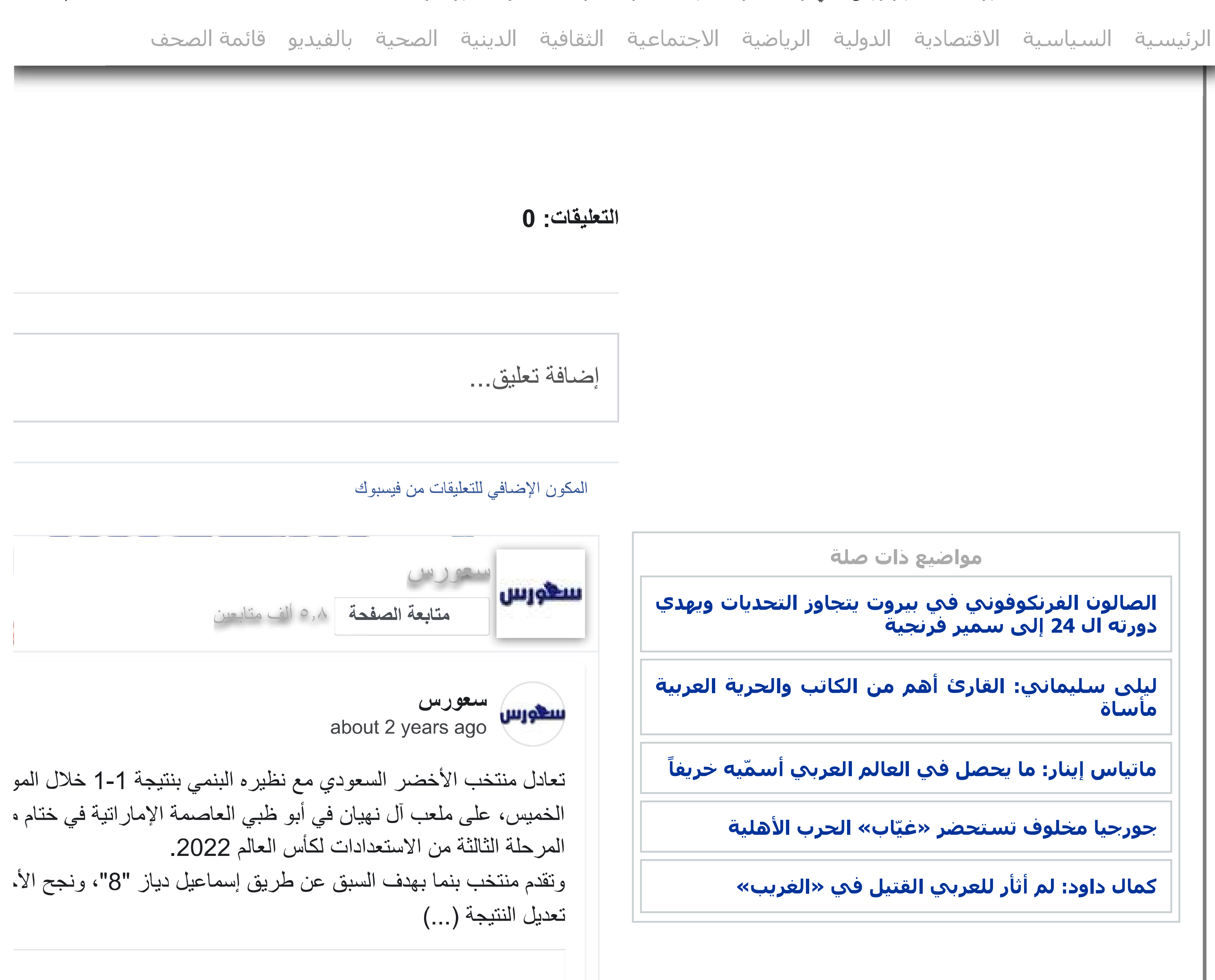
كتابتك الروائية بعيدة كل البعد عن الادب "الاكزوتيكي" الذي جلب شهرة الى كاتب لبناني مثل امين معلوف: أين تحدّد موقعك ال

ـ أعتبر أن كل أنواع الادب، الروايات "الاكزوتيكية" أو التاريخية او غيرها، هي انواع شرعية. لا أدخل في هذا الاطار لأنني قصة، بل من اجل اقامة علاقة مع القارىء. غالبا، أخلق العقدة في هدف اجبار القارىء ان يتكلم معي من خلال الكتاب. اين أض أعتبر أن المرء يجب ان يستمر في الكتابة طالما انه يشعر بالضرورة للكتابة شرط ان لا يكون بحاجة الى هذه الكتابة كي يعيش ان اعيش من كتاباتي لكنت اضطررت الى كتابة مختلفة والتفكير بالمبيعات وبعدد القرّاء والذي هو أمر شرعي لكل كاتب. وكو على الأقل ـ هذه الحاجة غير موجودة وبالتالي يمكنني ان اكتب مثلما أريد. اعتبر ان كل كاتب يحمل بلده في قلبه، يتنقّل مع باريس....

إن بقيت في بيروت، هل كنت كتبت باللغة الفرنسية؟

ـ ليس بالتأكيد. الجوّ الذي يجد فيه الانسان نفسه مهمّ جداً، ولكن وجودي خارج بيروت لم يكن صدفة.

انقر هنا لقراءة الخبر من مصدره.



مواضيع ذات صلة

- الصالون الفرنكوفوني في بيروت يتجاوز التحديات ويهدي دورته ال 24 إلى سمير فرنجية
- ليلى سليماني: القارئ أهم من الكاتب والحرية العربية مأساة
- ماتياس إينار: ما يحصل في العالم العربي أسمّيه خريفاً
- جورجيا مخلوف تستحضر «غيّاب» الحرب الأهلية
- كمال داود: لم أثأر للعربي القتيل في «الغريب»